الأُم .. عند الأنبياء والصالحين

(آخر كلام نبى الله موسى عليه السلام)

* ... مكحول عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : بلغنا أن الله تعالى كلّم موسى ثلاثة آلاف وخمسمائة آية، فكان آخر كلامه :

ـ «**يارب أوصنى**».

فقال :

ـ «**أوصيك بأمك**» حتى قاله سبع مرات، ثم قال :

ـ «**يا موسى، ألا إن رضاها رضائى، وسخطها سخطى**[1]».

(يحيا فى رياض الجنة)

* كان رجل من النساك يُقبِّلُ كل يوم قَدَم أُمه، فأبطأ على إخوانه يوماً، فسألوه؟

فقال :

ـ **كنتُ أتمرغ فى رياض الجَنّة، فقد بلغنا أن (الجَنّة تحت أقدام الأُمهات)**.

(أيهما يسر)

* وقال محمد بن المنكدر :

ـ «**بت أغمز رجل أمى، وبات عمى يصلى ليلته، فما تسرنى ليلته بليلتى**».

---

(١) رواه بهاء الدين العاملى فى المخلاة.

(حق الأُم أعظم)

* كان العلماء يقولون :

ـ «حق الأم أعظم من حق الأب .. ولكلٍ حقٌ».

(دعاء أُم)

* قالت أُم الإسكندر فى دعائها له :

ـ «رزقك الله حظاً يخدمك به ذوو العقول، ولا رزقك عقلاً تخدم به ذوى الحظوظ».

(بين ابن .. وعمر)

* قال رجل لعمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : إن لى أُماً بلغ منها الكِبـرَ أنها لا تقضى حاجتها إلا وظهرى لها مطية، فهل أديت حقها؟..

فقال عمر بن الخطاب : لا؛ لأنها كانت تصنع لك ذلك وهى تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه وتتمنى فراقها.

(بين أعرابى .. والإمام علىّ)

وأخرج البيهقى فى شُعَب الإيمان عن عمر بن حماد قال :

ـ حدثنا رجل قال : خرج (علىّ) و (عُمَر) من الطواف، فإذا هما بأعرابى معه أمه يحملها على ظهره وهو يرتجز ويقول :

أنـا مطـيـتـهـا لا أنـفـر وإذا الركـاب ذعرت لا أذعـر

وما حملتنى وأرضعتنى أكبر

لـبـيـك الـلـهـم لـبـيـك

و (علىٌ) رضى الله عنه يقول :

أن تبـرهـا فـالله أشكـر
يجـزيـك بالقليل الأكـثـر

(أبو يزيد البسطامى .. وأُمه)

* روى عن أبى يزيد البسطامى (رحمه الله) قال :

ـ كنت ابن عشرين سنة، فدعتنى أمى لتمريضها ذات ليلة، فأجبتها. فجعلتُ يدى تحت رأسها، والأخرى أمرها على جسدها، وأقرأ **﴿قل هو الله أحد﴾**. فخدرت يدى، فقلت : اليد لى، وحق الوالدة لله، فصبرت على ذلك كله حتى طلع الفجر، ولم أنتفع بعد ذلك بيدى».

فلما مات (أبو يزيد) رآه بعض أصحابه فى المنام وهو يطير فى الجنان ويُسَبِّح الرحمن. فقال له : بم نلت هذه الرحمة؟

قال : ببر الوالدة، والصبر على الشدائد.

(بِرُّ الأُم : أقربُ الأعمال إلى الله)

* عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه أتاه رجل، فقال :

ـ «إنى خطبت امرأة، فأبت أن تنكحنى، وخطبها غيرى فأحبت أن تنكحه، فغرتُ عليها، فقتلتها، فهل لى من توبة؟».

قال : أمك حية؟

قال : لا.

قال : **تُبْ إلى الله عز وجل، وتقرب إليه ما استطعت.**

فذهبت فسألت ابن عباس :

ـ لِمَ سألته عن حياة أُمه؟

فقال : **إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عز وجل من بِـرِّ الوالِـدَة ..**

(رواه البخارى فى الأدب المفرد)

(ثواب لين الكلام للأُم)

* حدثنى طَيْسَلَة بن مياس قال : كنت مع النجدات، فأصبت ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر، فذكرت ذلك لابن عمر قال : **ما هى؟**

قلت : **كذا، وكذا.**

قال : **ليس هذه من الكبائر : هُن تسع : الإشراك بالله، وقتل نسمة، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وإلحاد فى المسجد، والذى يستسخر، وبكاء الوالدين من العقوق.**

قال لى ابن عمر : **أتفرق من النار، وتحب أن تدخل الجنة؟**

قلت : **إى والله.**

قال : **أحيٌّ والِداك؟**

قلت : **عندى أمى.**

قال : **فوالله لو ألَنْتَ لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر.**

(رواه البخارى فى الأدب المفرد)

(لم يُجازِها .. ولا بزفرة)

* حدثنا سعيد بن أبِى بردة قال : سمعت أبى يحدث أنه شهد ابن عمر ورجل يمانى يطوف بالبيت، حمَل أُمَّـه وراء ظهره يقول :

إنى لها بَعِيرُهَا الْمُذَلَّـلُ إن أُذعِرَتْ ركابها لا أُذْعَـر

ثم قال : **يابن عمر، أترانى جزيتها؟**

قال : **لا، ولا بزفرة واحدة.**

ثم طاف ابن عمر فأتى المقام فصلى ركعتين، ثم قال :

ـ يا ابن أبى موسى، إن كل ركعتين تكفران ما أمامهما.

(رواه البخارى فى الأدب المفرد)

(الْجَـنَّـةُ عَنْ طريق الأُم)

* عن أبى مرة (مولى عقيل) : أن أبا هريرة كان يستخلفه مروان، وكان يكون بذى الحليفة، فكانت أُمه فى بيت، وهو فى بيت آخر. قال : **فإذا أراد أن يخرج، وقف على بابها، فقال :**

ـ السلام عليك يا أُمتاه ورحمة الله وبركاته».

فتقول : **«وعليك السلام يابُنى ورحمة الله وبركاته».**

فيقول : **«رحمك الله كما ربيتنى صغيراً».**

فتقول : **«رحمك الله كما بررتنى كبيراً».**

ثم إذا أراد أن يدخل صنع مثله ..

(رواه البخارى فى الأدب المفرد)

(بَنِى الأُم)

* عن على قال :

ـ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أعيان[1] بنى الأم يتوارثون دون بنى العلات (أى بنى الأب).

(رواه الترمذى فى كتاب الفرائض والدارمى فى السنن)

---

(١) الأخوة من أب وأم.

(الأم ترث)

* عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال :

ـ أصيب سالم مولى أبى حذيفة يوم اليمامة، فبلغ ميراثه مائتى درهم فقال عمر :

ـ «احبسوها على أُمه حتى تأتى على آخرها».

(رواه الدارمى ـ ص٣٦٨ جـ٢)

(برٌ .. وعصيان)

* فليعمل العاق ما شاء أن يعمل، فلن يدخل الجنة .. وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار ..

إن الكلام فى بر الوالدين يحتاج إلى سفر مستقل، بل إلى أسفار .. فبر الوالدين دليل الإيمان تدعو إليه الفطرة .. ويوجبه الدين والعقل .. وتحث عليه العاطفة ..

وما عق والديه إلا لئيم كُتِبَ عليه عذاب الدنيا، وخزى الآخرة ..

وإنا نرى فى زماننا هذا من يسىء إلى والديه، ومن يفضل زوجته وأولاده عليهما فى المعاملة ..

وقد يصل الحال به إلى ضربهما وطردهما من بيته وحرمانهما من بره وعطفه ومن خيره وكسبه .. ألا فليعلم ذلك الأثيم أن أولاده سيفعلون به كما فعل بوالديه، وأن السعادة والجنة محرمة عليه، وكما تدين تدان، وبالكيل الذى تكيل به تكتال ..

* * *

* قيل «لعليٍّ بن الحُسَيْن»[1] رضى الله عنه : إنك من أبر الناس بأمك، ولا تأكل معها فى صحفة فقال :

ـ أخاف أن تسبق يدى يدها إلى ما تسبق عيناها إليه، فأكون قد عققتها.

* * *

* إن دعوة الوالدين على الأولاد مستجابة فاحذر أن تصيبك، وقد مر بك أن أُم «جريج» العابد الزاهد دعت عليه، فاستجاب الله دعاءها.

* * *

* ويروى أن «الزمخشرى»[2] ـ صاحب كتاب الكشاف فى تفسير (القرآن الكريم) ـ كان يلعب فى صغره بعصفور ربط رجله بحبل، وكان كلما هَمَّ العصفور بالطيران جذبه إليه.

فنهته أمه خشية أن يقطع رجل العصفور، ولكنه استمر فى تعذيب العصفور، حتى قطعت رجله..

ولما كبر «الزمخشرى» وصار عالماً يشار إليه أحب أن يسيح فى البلاد للاستزادة من العلوم والمعارف، فمر على بلاد شديدة البرد، فأُصيب بمرض فى رجله وخشى الأطباء أن يمتد منها إلى القلب، فقرروا قطع رجله، وقطعوها فعلاً[*].

* * *

---

(١) علىّ بن الحسين (زين العابدين) «٣٨ـ٩٥ هـ = ٦٥٨ـ٧١٢م).

(٢) محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ/ ١١٤٤م).

* سفينة النجاة ـ للشيخ على رفاعى.

(قصة البقرة وبِـرُّ الأُم)

* خلاصتها أنه كان فى بنى إسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه، وحمله إلى قرية أخرى فألقاه بفنائها. ثم أصبح يطلب ثأره، وجاء بناسٍ إلى موسى عليه السلام، فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين بدعائه أمر القتيل، فأمرهم بذبح بقرة قائلاً لهم :

﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة. قالوا : أتتخذنا هُزُواً ﴾

أى أتستهزئ بنا، ونحن نسألك عن أمر القتيل فتأمرنا بذبح البقرة؟ فقال موسى :

﴿ أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ .

أى من المستهزئين بالمؤمنين، فلما علم الناس أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى، استوصفوه، وكان تحته حكمة عظيمة؛ وذلك لأنه كان فى بنى إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها إلى غيضة وقال :

ـ اللهم إنى أستودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ..

ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة أعواماً، وكانت تهرب من كل من رآها، فلما كبر الابن كان باراً بوالديه، وكان يقسم الليل ثلاثة أقسام : يصلى ثلثاً، وينام ثلثاً، ويجلس عند رأس أمه ثلثاً ..

فإذا أصبح احتطب على ظهره، فيأتى السوق فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدق بثلثه، ويعطى والدته ثلثه، فقالت له أمه يوماً :

ـ إن أباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا، فانطلق فادعُ إلهَ إبراهيم واسماعيل واسحاق أن يردها عليك، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها تخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفوتها.

فأتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال :

ـ أعزم عليك بإلهِ إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ..

فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها يقودها. فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى وقالت :

ـ أيها الفتى البار بوالديه، اركبنى فإن ذلك أهون عليك .

فقال الفتى :

ـ إن أمى لم تأمرنى بذلك، ولكن قالت : خُذْ بِعُنُقِهَا.

فقالت البقرة :

ـ بإله بنى إسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر عليَّ أبداً. فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله، وينطلق معك لفعل، لِبِرِّكَ بِأُمِّـكَ.

فسار الفتى بها إلى أُمه. فقالت له أُمه :

ـ إنك فقير لا مال لك وَيَشُقّ عليك الاحتطاب بالنهار، والقيام بالليل. فانطلق فَبِعْ هذه البقرة ..

قال :

ـ بكم أبيعها؟

قالت :

ـ بثلاثة دنانير، ولا تَبِعْ بغير مشورتى.

وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله ملكاً ليرى خلقه وقدرته، وليختبر الفتى وكيف بره بأمه وكان الله به خبيراً. فقال له الملك :

ـ بِكَمْ تبيع هذه البقرة؟

فقال :

ـ بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضاء والدتى.

فقال الملك :

لك ستة دنانير، ولا تستأمر والدتك.

فقال الفتى :

ـ لو أعطيتنى وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا أمى .

فَردَّها إلى أُمه، وأخبرها بالثَّمن، فقالت له :

ـ ارجع فَبِعْهَا بستة دنانير على رضاً منّى.

فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك، فقال :

ـ استأمرت أمك؟

فقال الفتى :

ـ إنها أمرتنى ألا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها.

فقال الملك

ـ فإنى أعطيك اثنى عشر ديناراً.

فأبى الفتى ورجع إلى أمه، وأخبرها بذلك فقالت :

ـ إن الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليختبرك، فإذا أتاك فقل له : أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟

ففعل، فقال الملك :

ـ اذهب إلى أُمك، وقل لها أمسكى هذه البقرة، فإن موسى بن عمران سيشتريها منكم لقتيل قُتل من بنى إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكنها دنانير فأمسكوها..

وقدر على بنى إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها، فمازالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بِرّه بوالدته فضلاً ورحمة، فاشتروها بملء مسكنها ذهباً، فذبحوها وضربوا القتيل ببعض منها كما أمر الله تعالى، فقام القتيل حيّاً بإذن الله تعالى، وأوداجه تسخب دما، وقال :

ـ قتلنى فلان.

ثم سقط ومات مكانه، فحرم قاتله الميراث!

(دافع الأمومة(*))

* يظهر دافع الأمومة بوضوح فيما تبديه الأم نحو أطفالها من حب وحنان وعطف ورعاية ..

ويبدو سلوك الأمومة الفطرى بوضوح فى الحيوانات بعامة، وفى الحيوانات الثديية بخاصة، حيث تسلك الأمهات فى الحيوانات الثديية فى إرضاع صغارها والعناية بهم والدفاع عنهم سلوكاً فطرياً غريزياً ..

وقد أشار الرسول عليه الصلاة والسلام إلى دافع الأمومة عند إناث الطير فيما تبديه من اهتمام برعاية صغارها والدفاع عنهم، وما تظهره من جزع إذا ألَمّ بصغارها أذى ..

فعن عبد الرحمن بن عبد الله، قال :

ـ «نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً، فانطلق إنسان إلى غيضة فأخرج منها بيض حُمّر، فجاءت الحُمّرة ترف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورءوس أصحابه، فقال عليه الصلاة والسلام :

(*) الحديث النبوى وعلم النفس ـ د. محمد عثمان نجاتى ..

ـ «.. أيكم فجع هذه؟»

فقال رجل من القوم :

ـ أنا أصبت لها بيضاً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ أُرددهِ ..

وفى رواية أخرى قال :

ـ رده رحمة لها[1] ..

وأشار الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ما تعانيه الأم من مشقة وآلام أثناء الحمل، والوضع، والرضاعة، والسهر على أطفالها والعناية بهم .. شكا رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم سوء خُلُق أُمه .. فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ لم تكن سيئة الخُلُق حين حملتك تسعة أشهر .

قال :

ـ إنها سيئة الخُلُق.

قال :

ـ لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين.

قال :

ـ إنها سيئة الخُلُق.

قال :

ـ لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها، واظمأت نهارها.

---

(١) أخرجه أحمد، جـ١، ص ٤٠٤ ..

قال :

ـ لقد جازيتها.

قال :

ـ ما فعلت لها؟

قال :

ـ حججت بها على عاتقي.

قال :

ـ ما جزيتها ولو طلقة[1].

(١) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي : الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. جـ٢، بيروت (د . ت)، ص ٤٤٥ في تفسير سورة الإسراء .. (سبقت ترجمته)..